الفصل الأول

كتب الناظر :

كان الولد يعاني من مرض في عينيه، فأرسلوه إلى فيينا للعلاج. في تلك الرحلة التي دامت عامين، لم يصطحبه أبوه، إذ كان رجلا منشغلا بمهام كبيرة أملت عليه التنقّل المستمر بين مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية. ورغم صغر سن الولد، لم يكن هناك ما يدعو للقلق عليه، ليس فقط بسبب وضعه المالي وما وفّره له أبوه من مرافقين، بل أيضا لأنه، لمكانة أبيه وسلطته، حظي برعاية حكام النمسا، واختلط بأفراد أسرها العريقة، وشملته الرعاية المباشرة لوزير خارجيتها.

عاش الولد في فيينا، عالج عينيه على ما يبدو، رأى شوارعها ومبانيها، تردد على قصورها، شارك في مآدب نبلائها وحفلاتهم حيث يرقص الرجال مع النساء على أنغام موسيقى الفالس الآسرة، الرجال في سترات لها ذيول وسراويل سوداء ضيقة تُفَصِّل الساقين، والنساء بأثواب ملونة محبوكة على الصدر وتنفلت أسفل الخصر سخية فضفاضة.

قبل أن يتم الخامسة عشرة صدر قرار بإلحاقه ببعثة تعليمية في فرنسا، فانتقل الولد إلى باريس ليدرس في معهد من معاهدها التعليمية، ولا بد أن الصورة التي لدينا التقطت له وهو في الرابعة عشرة من عمره أثناء إقامته في النمسا، أو بعد ذلك وهو يدرس في فرنسا. في الصورة وجه طفل، وجسد فتي نحيل،